الحديث الحادي والعشرون

الرضاء بما قسم الله

عن أبي هُريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«انظروا إلى مَنْ هو أسفلَ[1] منكم، ولا تنظروا إلى مَنْ هو فوقَكُم، فهو[2] أَجْدَرُ ألاَّ تزدروا[3] نعمة الله عليكم».

هذا الحديث متَّفق عليه، ورواه أحمد في المسند، وفي كتاب الزُّهد، والتِّرمذيُّ، وابن ماجه.

وفي روايةٍ للبخاريِّ، ومسلم: «إذا نظر أحدُكم إلى مَنْ فُضِّلَ عليه في المال والخَلْق؛ فلينظر[4] إلى مَنْ هو أسفل منه»[5].

وقال ابن حجر: [وقد وقع في نسخة عمرو بن شُعيب عن أبيه، عن جده،

---

(١) إذا نصبتَ (أسفل) كان ظرفاً متعلِّقاً بخبر (هو) على نحو ما جاء في القرآن ﴿وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾، وإذا رفعت، كانت خبراً لـ«هو».

(٢) الفاء للتَّعليل، ومعنى أجدر: أحقُّ.

(٣) تزدروا: أي: تحقروا، وأصله (تزتروا) فقلبت التاء دالاً، والفعل الثُّلاثي: زرى. وأن وما بعدها في تأويل مصدر في محل جرٍّ بحرف الجر المحذوف، والجار والمجرور متعلقان بـ«أجدر».

(٤) الفاء رابطة للجواب.

(٥) البخاريُّ ٨/ ٨٧ برقم ٦٤٩٠، ومسلمٌ ٨/ ٢١٣ برقم ٢٩٦٣، والمسند ٢/ ٢٥٤ و٤٨٢، والزُّهد لأحمد ١٨ و٧٧، والتِّرمذيُّ برقم ٢٥١٣، وابن ماجه برقم ٤١٤٢، وانظر الفتح ١١/ ٣٢٢، وشرح النَّوويِّ ١٨/ ٩٦.

رفعه ، قال : «خَصْلتان مَنْ كانتا فيه كتبه الله شاكراً صابراً :

مَنْ نظر في دنياه إلى مَنْ هو دونه ، فحمد الله على ما فضَّله به عليه ،

وَمَنْ نظر في دينه إلى مَنْ هو فوقه ، فاقتدىٰ به» .

وأمَّا مَنْ نظر في دنياه إلى مَنْ هو فوقه ، فَأَسِف على ما فاته ؛ فإنَّه لا يُكتب شاكراً ، ولا صابراً][1] .

وأخرج الحاكم من حديث عبد الله بن الشِّخير ، رفعه :

«أَقِلُّوا الدُّخول على الأغنياء ؛ فإنَّه أحرىٰ ألا تزدروا نعمة الله»[2] .

وأخرج ابن حبَّان عن أبي ذرٍّ : قال : أوصاني خليلي ﷺ بخصالٍ من الخير : أوصاني ألاَّ أنظر إلى مَنْ هو فوقي ، وأن أنظر إلى مَنْ هو دوني[3] .

إنَّ قوله ﷺ : «إذا نظر أحدكم إلى مَنْ فُضِّل عليه في المال والخَلْق ؛ فلينظر إلى مَنْ هو أسفل منه» . حديثٌ جامعٌ لمعانٍ كثيرةٍ من الخير ، والرِّوايات لهذا الحديث الَّتي أشرنا إليها تعين على تقرير المعنى المُتكامل ، وكذلك فإنَّ حديث عبد الله بن عمرٍو ، وحديث عبد الله بن الشِّخير ، وحديث أبي ذرٍّ توضِّح جوانب الموضوع .

* * *

إنَّ المسلم إن امتثل أمر رسول الله ﷺ في هذا الحديث الجميل ، فنظر في أمور الدِّين إلى مَنْ تقدَّمه ، وفاقه ، ونظر في أمور الدُّنيا إلى مَنْ دونه ؛ أورثه ذلك رضاً يغمر نفسه بالسَّعادة ، وضاعف لديه الرَّغبة في الاستزادة من الطَّاعة ، وأقبل على ربِّه مجتهداً في الحصول على مرضاته ، وأحسَّ بنعم الله

---

(١) الفتح ١١/ ٣٢٣ .

(٢) المستدرك ٤/ ٣١٢ .

(٣) موارد الظمآن رقم ٢٠٤١ .

الَّتي تغمره ، فلهج لسانه بالشُّكر ، وفاضت الطُّمأنينة في نفسه ، وكان في سعادةٍ داخليَّةٍ لا توصف ، ولا تحدُّ.

إنَّ السَّعادة الحقيقيَّة كامنةٌ في أن يرضى المرء بما قسم الله له. وقد دلَّت أخبار التَّاريخ في الماضي ، وأحداثُ الحياة في الحاضر علىٰ أنَّ السَّعادة ليست في المال الوفير ، ولا في المَنْصِب الكبير ، ولا في الجمال الرَّائع ، ولا في النَّسب الشَّريف... ولكنَّها في أعماق النَّفس. والسُّموُّ درجاتٌ ، والتَّخلُّف درجاتٌ:

إنَّ المرء لا يكون بحالٍ تتعلَّق بالدِّين من عبادة ربِّه ، والإحسان إلى خَلْقه إلَّا وجد مَنْ هو فوقه في ذلك.. فإذا نظر إليه ؛ طلبت نفسُه اللَّحاق به ، واستصغر حاله ، فيكون أبداً في زيادةٍ تقرِّبه من ربِّه.

ولا يكون على حالٍ متأخِّرةٍ من الدُّنيا إلا وجد مِنْ أهلها مَنْ هو أسوأُ حالاً منه. فإذا نظر إليه ، ووازن بين حاله ، وحاله ؛ علم: أنَّ نعمة الله وصلت إليه دون كثيرٍ من النَّاس ، وعرف: أنَّه في بحرٍ من النِّعم ، فيُلزم نفسه الشُّكر ، ويعظُم اغتباطه بذلك ، ويحمَد العاقبة يوم المعاد[1].

إنَّ هذا المسلك دواءٌ لمن نظر إلى مَنْ هو فوقه في الدُّنيا ، فأثار ذلك في نفسه الحسرة ، وأوقد فيها نيران الحسد ، واستصغر ما عنده مِنْ نعم الله... أَلَا فلينظر إلى مَنْ هو أسفل منه... لتطمئنَّ نفسه ، وترضىٰ ، وتعظُم في عينه نعمُ الله عليه ، وليكون ذلك داعياً إلى الشُّكر.

إنَّ التنافس في شؤون الدُّنيا ، ومصالحها سببُ اختلاف النَّاس ، وسببُ شقائهم ، وتنافرهم ، وحروبهم. ومعظمُ مشكلات النَّاس كائنٌ بسبب ذاك التَّنافس المُتحرِّر من قيود الشَّرع والمُثل. وإذا انصرف النَّاس إلى تحصيل الأمور الدُّنيويَّة ، والانكباب على الملذَّات ، وتسابقوا في ذلك ؛ ازدرىٰ كلُّ واحدٍ منهم نعمة الله عليه ، وحقد على الَّذين فاقوه فيها ، وحسدهم عليها ،

---

(١) هذا الكلام مستفادٌ من كلام لابن بطَّال أورده ابن حجر في الفتح.

فتراه مغموماً مهموماً ، تحرق صدرَه مشاعرُ الحِقْد ، والبغضاء .

قال بعضهم : ما رأيت ظالماً أشبه بمظلومٍ من الحسود؛ نَفَسٌ دائمٌ ، وَهَمٌّ لازمٌ ، وقلبٌ هائمٌ[1] .

وقال الماورديُّ : [لو لم يكن مِنْ ذمِّ الحسد إلا أنَّه خُلُقٌ دنيءٌ يتوجَّه نحو الأَكْفَاءِ ، والأقارب ، ويختُّص بالمُخالط والمُصاحب ، لكانت النَّزاهة عنه كرماً ، والسَّلامة منه مغنماً ، فكيف وهو بالنَّفس مضرٌّ ، وعلى الهمِّ مصرٌّ ، حتَّى ربما أفضىٰ بصاحبه إلى التَّلف . . .

وقد قال معاوية ـ رضي الله عنه ـ : ليس في خصال الشَّرِّ أعدلُ مِنَ الحسد ، يقتل الحاسدَ قبل أنْ يصِل إلى المَحسود .

وقال بعضُ الحكماء : يكفيك من الحاسد أن يَغْتَمَّ في وقت سرورك][2] .

وينطَلِق ذاك الَّذي ينظر إلى مَنْ فوقه ؛ ليتدارك ما فاته غير عابىءٍ بقواعد الشَّرع ، ولا بكريم الخُلُق . . وإذا عمَّ هذا ؛ فسدت الضَّمائر ، وملأت السَّخائم النُّفوس ، وتبلَّد الحسُّ ، وخيَّم الرَّان على القلب . . وكان الحقد الطَّبقيُّ ؛ الذي يُؤَرِّثُ نار الكراهية بين أبناء الأمَّة الواحدة . وإنَّنا لنشهد في عصرنا نتائج هذا الحقد الطَّبقيِّ البغيض ، الَّذي لا يقدِّم للبائس عوناً ، ولا يشجِّع الموسرَ على الإحسان . . . بل يمزِّق الأمَّة الواحدة بعد أن كان صفُّها مرصوصاً ، فتعمُّها الفُرقة ، ويأكلُها الاختلاف . وقد تضجَّر منه أبناء النِّظام ؛ الَّذي يقوم عليه كما نرىٰ ، ونسمع في دول أوربة الشَّرقيَّة .

هذا وإنَّ ذاك الَّذي ينظر إلى مَنْ هو فوقه لا يستفيد في شيءٍ ، فلا يتغيَّر حاله ، ولا يسعد عيشه ، بل يُضْحِي إنساناً معقَّداً ناقماً حاقداً ، لا يطمئنُّ إليه أحدٌ ، ولا يأنس بقربه إنسانٌ .

إنَّ الرِّضا بما قسم الله لِلْعبد ، والقناعةَ به ، وحبَّ الآخرين ، وإرادةَ الخَيْرِ

---

(١) أدب الدُّنيا والدِّين ٢٤٤ .

(٢) أدب الدُّنيا والدِّين ٢٤٥ .

لهم ، والبعدَ عن الحسد ، وشكرَ الله على نِعَمِه ، معانٍ تُفهَم من هذا الحديث.

إنَّ الحياة السَّعيدة للأفراد ، والمجتمعات تكون بالرِّضا والقناعة بما وهب الله مِنْ متاع الحياة الدُّنيا ، وتكون بسيادة المعاني الكريمة من الإيمان ، وحُسْن الخُلُق ، والحبِّ ، والتَّعاون ، والإيثار . . . وما إلى ذلك.

أمَّا إذا تجرَّد الأفراد من الرِّضا ، والقناعة ، والإيمان ، وحسن الخُلُق ؛ استوىٰ الإنسان ، والحيوان الأعجم . . . إنَّ أفراد القطيع تتسابق على المرعىٰ ، ولا تفهم معنىٰ الحبِّ ، والإيثار ، والتَّعاون . . . وإنَّ الَّذي يؤلم المسلم: أنَّ هذه الرُّوح المادِّية الخسيسة الغريبة عنَّا؛ الَّتي يئنُّ منها المجتمع الأوربيُّ ، بدأت تتسرَّب إلى بعض مجتمعاتنا على نسب متفاوتةٍ بين قُطْرٍ ، وَقُطْرٍ ، إنَّها روحٌ شرِّيرةٌ ، تحمل الآلام ، والويلات ، والشُّرور.

إنَّنا نجد في المجتمع المادِّيِّ المُتصارع المرأة تحقِد على الرَّجل . . . والصِّغار يحقِدون على الكبار . . . والفقراء يحقِدون على الأغنياء . . . وأبناء القُرى يحقِدون على أبناء المُدن ، والعمَّال على أرباب العمل . . وهكذا . . . ويَسْتَغِلُّ أعداءُ الإسلام هذا الوضع المريض ، ويوقدون نار العداوة بين الصُّفوف ، حتَّى يكون بأسُ المسلمين بينهم شديداً ، وبذلك يتسنَّى لهم ما يريدون.

وقولُه ﷺ: «فهو أجدر ألاَّ تزدروا نعمة الله عليكم» يحذِّر مِنْ أمرٍ خطيرٍ سيىءٍ ، لا يليق بالمسلم أن يرضىٰ به ، ولا أن يقبله ، وهو ازدراء نعمة الله على عباده ، ومن ازدرىٰ نعمة الله ؛ حُرِمَ شكره ، ومَنْ حُرم الشُّكر ؛ ترحَّلت عنه النِّعم ، وتسابقت إليه المِحَن ، وابتُلي بالغمِّ ، والهمِّ ، والحزن الدَّائم ، والتسخُّط لما هو فيه مِنَ الخير.

فما أعظم نِعَمه سبحانه! قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤ والنحل ١٨]. أجل . . . إنَّ نعم الله لا يمكن أن تُحْصَىٰ ، وهذا الكلام ليس مبالغةً ، ولا مجازاً ، بل هو حقيقةٌ يقود إليها التأمُّل الواعي في أحوال النَّاس ، وفي الأمراض ، والمصائب المادِّيَّة ، والمعنويَّة ، فما أعظم منن الله

الظَّاهرة ، والباطنة ! ولهذا كان من دعاء النَّبيِّ ﷺ قوله : «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1] وقال : «يا معاذ! إنِّي أحبُّك ، فلا تدعنَّ أن تقول دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبة : اللَّهُمَّ! أعنِّي على ذِكْرك ، وشُكْرك ، وحُسْن عبادتك»[2] .

وقد طالبنا بشكر النِّعمة ، قال تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل: ١١٤] ولن يشكرَ العبدُ النِّعمةِ إلا إذا رآها جليلةً عظيمةً ، فمن أراد أن يقوم بواجب الشُّكر ؛ فجديرٌ به أن ينظر إلى من هو أسفل منه في أمور الدُّنيا ، ويوازن بينه ، وبينه ، وألاَّ ينظر إلى مَنْ هو فوقه . . . إنَّه إن فعل ذلك ؛ رأىٰ فضل الله عليه كبيراً ، لأنَّ كثيراً مِنْ أقرانه في العِلْم ، والنَّسب ، والخُلُق ، والعبادة ، والصِّفات الأخرىٰ لم يحظوا بالنِّعم الجليلة التي أكرمه الله بها . وعندما يرىٰ الإنسان شيئاً جميلاً قد خصّه الله به دون كثيرٍ من النَّاس ؛ يزداد جمالاً في عينه ، ويعظم قدره عنده . وعندئذٍ فهو حريٌّ أن يؤدِّي شكره .

أمَّا إذا نظر إلى من هو فوقه ؛ فإنَّه يرىٰ نفسه مجرَّداً من النِّعم الَّتي حيزت لغيره ، وهذا يجعله لا يرىٰ ما هو فيه من الخيرات والبركات شيئاً مذكوراً ، وسيقوده ذلك إلى ازدراء هذه النِّعم ، واحتقارها ، وسيُحرم الشُّكرَ ، وجزاءَه ، وسيُحرم السَّعادةَ ؛ الَّتي في حنايا الشُّكر .

يا أخي! كم من نعمةٍ تتقلَّب فيها! كم أنت مغمورٌ بفضل الله! ولنتذكر بعض هذه النِّعم ، فانظر ، وتدبَّر ، وتأمَّل :

هذا الإيمانُ الَّذي هديت إليه ، فأصبحت من الرَّاشدين نعمةٌ عظمىٰ ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧] . تصوَّر هؤلاء الضَّالِّين ؛ الَّذين يسيرون في سُبُل الضَّلالة الباطلة ، ويرفعون شعاراتٍ خدَّاعةً زائفةً . . لقد ضلَّ سعيُهم في الحياة

---

(١) رواه مسلمٌ برقم ٤٨٦ ، وأبو داود برقم ١٤٢٧ .

(٢) رواه أبو داود برقم ١٥٢٢ ، والنَّسائي ٣/ ٥٣ ، وهو حديث صحيح .

الدُّنيا وهم يحسبون أنَّهم يُحْسِنُون صنعاً. . . وازن بين حالك ، وحالهم ؛ لتتبيَّن عِظَمَ نعمة الإيمان الَّتي أنت فيها.

ومن ثمرات الإيمان أداءُ الواجبات ، والامتناعُ عن المحرَّمات ، فإذا كنت ممَّن وُفِّق إلى ذلك ، فاحمد الله على فضله ، وتذكَّر ناساً مثلك وقعوا في قاذورات المعاصي ، وقصَّروا فيما أوجب الله عليهم حتَّى خُتِم على قلوبهم. . . أليس ما أنت فيه من الطَّاعة نعمةً مِنْ نعم الله؟ فهل أدَّيت شُكرها؟

هذا العقل الَّذي يضبط تصرُّفاتك ، ويرشدك إلى سواء السَّبيل نعمةٌ عظمى. . تصوَّر المجنون وحاله ، تَعْرِفْ قيمة هذه النِّعمة الجليلة. . . فهل أدَّيت شُكرَها؟

هذا البصر الَّذي تعرف به طريقك ، وبه تمارس عملك ، وتقرأ ، وتكتب ، وتزرع ، وتصنع ، وتغدو ، وتروح. . . نعمةٌ عظمىٰ تَرْجَحُ أموالَ الدُّنيا ، تصور إخوةً لك كراماً حُرِمُوا هذه النِّعمة. . . فهل أدَّيت شُكرها؟

هذا السَّمع ؛ الَّذي هو نافذةٌ تصل بها المعرفة إلى عقلك ، وبه تستطيع محاورة الآخرين ، والتَّعاون معهم ، والإفادة منهم. . . نعمةٌ عظمى. . . تصوَّر إنساناً حُرِم نعمة السَّمع ، فَحُرِم بذلك نعمة النُّطق. . . كم يعاني في حياته. . . فهل قمت بأداء شكر هذه النِّعمة.

هذه الصِّحَّة ، والقوَّة ، والقدرة على القيام ، والقعود ، والحركة الَّتي تُمكِّن من العبادة ، والقيام بعملك. . . نعمةٌ كبرى ، لا تقدَّر بمال الدُّنيا. . . تصوَّر حال مَنْ حُرِمها ، فهو طريحُ الفِراش ابتُلي بأنواع الأمراض ، لا يقوىٰ على قضاء حاجته ، ولا إزالة ضرورته ، يضيق أهلُه وبنوه به ذَرْعاً ، ويتمنَّون وفاته ، ويشعر مِنْ جرَّاء ذلك بأقسىٰ المشاعر ، وأشدِّها إيلاماً لنفسه. . . فهل شكرت هذه النِّعمة؟

هذا الغِنى عن النَّاس نعمةٌ عظيمةٌ. . . توفِّر عليك كرامتك ، وتصون ماء وجهك. . . فأنت تجد الطَّعام الشَّهيَّ ، والشَّراب الهنيَّ ، والمسكن الواسع ، والمركب المُريح ، والنفقة المطلوبة. . . تصوَّر يا أخي! وتذكَّر: أنَّ هناك ناساً

لا يجدون القوت ، ولو كان يسيراً ، وناساً لا يجدون المأوىٰ ، ولو كان ضيِّقاً . . . فيضطرُّهم ذلك إلى تكفُّف أيدي النَّاس . . . فهل أدَّيت شكر هذه النِّعمة؟

هذه الزَّوجة الصَّالحة نعمةٌ كبيرةٌ لأنَّها تُعفُّك ، وتُهَيِّئُ لك طعامك ، وملبسك ، وتقوم على تدبير شؤون بيتك ، وتربِّي أولادك ، وتشاركك مشاعرك ، وتؤنسك ، تصوَّر حال ناسٍ لا يقدرون أن يتزوَّجوا كم تكون حياتُهم مضنيةً صعبةً . . فهل أدَّيت شكر هذه النِّعمة؟

ومثل ذلك يقال للمرأة الَّتي أكرمها الله بزوجٍ صالحٍ يُعِفُّها ، ويكرمها ، وَيُهَيِّئُ لها الحياة السَّعيدة . . . فهل أدَّيتِ يا أختي! شكر هذه النِّعمة؟ هل تصوَّرت حال نساءٍ عوانس قَضَيْنَ أعمارَهُنَّ ، ولم يتزوجن ، فحُرِمْنَ من الولد؛ الَّذي يعين في الشَّيخوخة ، والضَّعف .

وهؤلاء الأولاد الَّذين هم زينة الحياة الدُّنيا نعمةٌ كبيرة . . وهل عرفت حال الَّذين حُرِموا هذه النِّعمة من الضَّجر ، والقلق ، والحسرة ، والشَّقاء؟ فهل قدَّرت هذه النِّعمة قدرها ، وقمت بِشُكرها؟

هذا الأمن الَّذي أنعم الله به عليك نعمةٌ عظمى . . . فأنت آمنٌ على نفسك ، وعِرْضك ، ومالك . . . تصوَّر حال أقوامٍ في عصرنا هذا لا يأمنون على أنفسهم ، ولا على أموالهم . . . فهل أدَّيت شُكر هذه النِّعمة؟

يا أخي! ألست معي بعد ذلك بأنَّك تسبح في بحورٍ مِنَ النِّعم ، وأنَّ كلَّ واحدةٍ من هذه النِّعم لا تقوَّم بثمنٍ . . فانظر إلى هذه النِّعم ، واقْدُرْها قَدْرَها ، واسعَد بها .

في الحديث علاجٌ لِمَن نظر إلى مَنْ فُضِّلَ عليه في المال والخَلْق ، يقول ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى مَنْ فُضِّل عليه في المال والخَلْق ؛ فلينظر إلى مَنْ هو أسفل منه» .

قد ينظر الإنسان إلى مَنْ هو أغنىٰ منه ، وإلى مَنْ هو أقوىٰ منه ، وأجمل . . . ينظر إليهما نظرة إعجاب ، وموازنةٍ بينهما ، وبينه .

ذلك: أنَّ المرء قد ينظر إلى الغنيِّ، والقويِّ، والجميل بسبب اجتماعه معه في الطَّريق، أو المسجد، أو العمل... وقد يخطر على باله.. فماذا يصنع؟

هذه حالةٌ لا بُدَّ أن تقع، أو تَرِدَ على الذِّهن... فكيف يتصرَّف المرء، ولا سيَّما: أنَّ الشَّيطان قاعدٌ مترصِّد.

إنَّ هذه النَّظرة المعجبة المتطلِّعة إن لم يُعالجها المرء؛ أقضَّت مضجَعه، وسلبتْه سعادتَه، وصغَّرت ما لديه من النِّعم، وبدَّدت هدوءَه، وأحلَّت الألم محلَّ السُّرور، والآهات العميقة محلَّ البسمات، والضَّحكَاتُ، وجعلت الحزن والاكتئاب يسيطر على المرء محلَّ البهجة، والفرح، والانشراح.

وهذه النَّظرة قد تأتي دون تعمُّدٍ... فماذا يصنع هذا الَّذي تعرَّض لها؟

الحديث الشريف يقدِّم له العلاج: إنَّ عليه أن ينظر إلى مَنْ هو أسفل منه في المال، والولد، والنَّسب، وأصناف النعم.. إنَّ ذلك يُذْهِبُ عنه الغمَّ، والحزن، ويبرز قيمة النِّعم العظمىٰ الَّتي أكرمه الله بها، فيعترف بهذه النِّعم، ويتحدَّث بها، ويكون ذلك دافعاً له إلى شكر المُنعِم المُتفضِّل، والشُّكر هو رأس العبادة، وشكر الله واجبٌ على العبد، فكلُّ ما بالعباد من نعمةٍ ظاهرةٍ، أو باطنةٍ خاصَّةٍ، أو عامَّةٍ، فهو من الله جلَّ جلاله.

لو أننا فعلنا ذلك؛ لقضينا على كثير من أسباب الغمِّ والنَكَدِ، ولوفَّرنا أعصابنا الَّتي يحرقُها هذا الشُّعور المتوقِّد، ولاستأصلنا شأفة الحَسَد من الصُّدور. والحَسَدُ ينطلق من هذه النَّظرات الحمقاء الَّتي لا تفيد صاحبها ولا تسرُّه.. بل تسيء إليه، وتحزنه. انظر إلى دخلك الَّذي تكسبه.. وتذكَّر كثيراً ممَّن هم في مستواك... وكن منصفاً في هذه الموازنة... أليس هناك عددٌ كبيرٌ منهم لا ينعم بما تنعم به[1]؟

بل ربما وجدت كثيراً من هؤلاء يفوقونك في عددٍ من الصِّفات، والمزايا، ومع ذلك فإنَّ دخلك يفوق دخل كلِّ واحدٍ منهم.

---

(١) انظر كتابنا «نظرات في الأسرة المسلمة» موضوع: مِنْ أخطاء الموازنة.

إنَّ هذا يجعلك تفرح بهذه النِّعمة العظيمة ، ويعصمك من الوقوع في رذيلة الحَسَد ، ويقيك من النَّكَد ، والألم ، وازدراء نعمة الله عليك .

وهناك أمران اثنان :

١ ـ ربَّما استويت مع بعض هؤلاء النَّاس في الصِّفات والمواهب ، وزاد مالهم عن مالك .

لكن ما يدريك : أنَّ الله أصابهم بمصائب في أجسامِهم ، وأنفسِهم ، وأهليهم جعلت حياتهم جحيماً لا يُطاق . فاحمَدِ الله على العافية ، وسلْهُ من فضله .

٢ ـ ربَّما تكون ممَّن ضُيِّق عليه في رزقه ، أو ابتُلي في صحَّته ، فتذكَّر يا أخي ! من هو أشدُّ مصيبةً منك ، فما مِنْ مكروهٍ إلا ويوجد مكروهٌ أعظمُ منه . واحمد الله على أن عافاك ممَّا ابتلىٰ به كثيراً مِنْ خلقِه .

* * *